«ليالي ليما».. وتداعيات العلاقات البشرية

ترجمة: المدى

تحدث رواية ماري أرانا الجديدة، "ليالي ليما Lima Nights"، هذه على مدى ٢٠ عاماً، بدءً بعام ١٩٨٦ داخل حانة تانغو مفعمة بالدخان تُدعى ليالي ليما ، حيث يجتمع زوج غير محتمل من الأشخاص معاً، وتُظهر لنا المؤلفة كم هوسهلٌ أن نخدع أنفسنا والآخرين حين نتتبع مسلكاً محظوراً من الجنس والحب.

فنجد كارلوس بلوم، وهوبيروي من أصل ألماني متزوج، في منتصف العمر، يصاحبه ثلاثة من أقرب أصدقائه بعد أمسية خارج البيت مع زوجاتهم. ويأخذ سائقُ النساء إلى ردهة لتناول الآيس كريم بعد العشاء، ويذهب الرجال يعبّون الخمرة في جزء فظّ من المدينة،وقد كذبوا، بطريقتهم المعتادة، في ما يتعلق بوجهتهم المقصودة.

فينجذب كارلوس على الفور نحو فتاة بيروية شابة، في رداء مشدود، وذات جلد أسمر تدعى ماريا، وهي واحدة من نساء كثيرات يستأجرهن البار للرقص مع الزبائن الذين يدفعون. ويتندّر عليه أصدقاؤه بأن لديه «شهيّةً للتشولاس cholas ـ كلما كانت الفتاة أكثر اسمراراً كانت أفضل".. والشيء الذي لا يعرفه كارلوس آنذاك هوأنه خلال الأمسية تدسّ ماريا في جيبه ورقة فيها رقم هاتفها، كما أنه لا يعرف أنها ليست في سن ١٦ تماماً، وهكذا تبدأ علاقة عاطفية تملُكية عاصفة.

وتعتمد المؤلفة، التي تقاعدت مؤخراً من عملها محررة لقسم عالم الكتب في الواشنطن بوست، على معرفتها بثقافة بيروووجوها السياسي، في روايتها الثانية هذه. وتعيش ماريا، بطلة الرواية، المتشوقة للإفلات من القسم البائس والعنيف من المدينة، على المردود المالي الذي يوفره رقصها مع الزبائن في حانة التانغوليلاً وتعبئتها مواد البقالة في سوبر ماركت نهاراً. وهذا السوبر ماركت يقع في جزء المدينة الذي يعيش فيه كارلوس، وهومنطقة من مناطق الطبقة العليا تحميها حراسات مسلحة في كل شارع. ومع أن كارلوس ينحدر من سلالة مصرفيين أثرياء، فإن ثروة الأسلاف مبددة إلى حد بعيد. وهوليس بمصرفي، وإنما مجرد بائع آلات تصوير يعيش في بيت الأسرة الكبير مع أمه ذات الـ ٧٧ عاما، وزوجته وولديه. والولدان متعلمان، وتنتسب أسرته إلى «النادي»، لكن هناك متاعب مالية.

وعندما تكتشف زوجة كارلوس علاقته بالفتاة الشابة، ينتهي زواجهما.. ويُترَك كارلوس، الذي لم ينظر بعيداً ليتنبأ بخسارة أسرته، وحيداً في العناية بنفسه في البيت الكبير سابقاً.. وتنتقل ماريا، التي تفقد أعمالها، إلى البيت لتعيش معه.

وكما تكتب المؤلفة، «وبعدها، فجأةً، يُدرك ما هو واضح: كانت قد رأته (البيت) من قبل.. كانت قد جاءت إلى هنا لترى كيف عاش.. كانت قد وقفت في الشارع ووجهها مضغوط على الحديد وقدّرت ممتلكاته، وقد أرادت هذا البيت إلى حد كبير بحيث أنها تصورت نفسها فيه، تخّيلت نفسها خلف نوافذه، وابتغت طريقها عبر جدرانه».

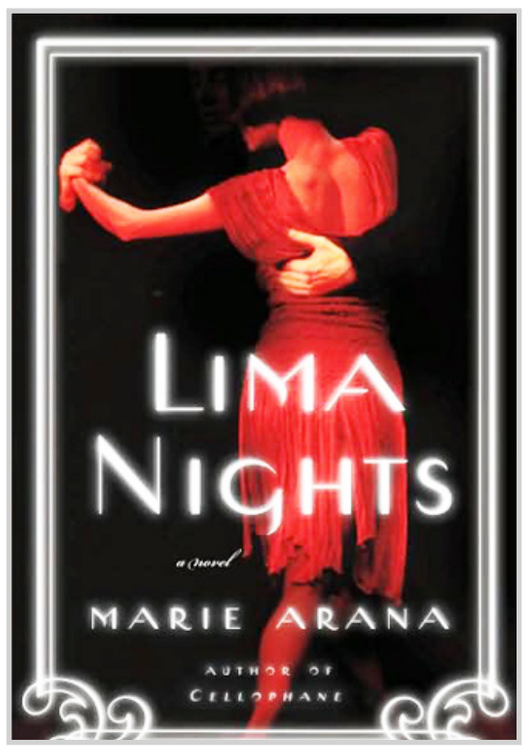

في النصف الثاني من الرواية ـ الذي يجري في عام ٢٠٠٦، بعد ٢٠ عاماً ـ تسبر أرانا، المؤلفة، بصدق غور ما يحدث حين يحصل شخصانً على ما يعتقدان بأنه الشيء الذي يريدانه. فرغم كل الخلافات، بقي كارلوس وماريا معاً ولا زالا في البيت، الذي يضمحل من حولهما. فماريا في السادسة والثلاثين من عمرها، ومرادها الأعظم أن تحصل على الوضع الشرعي لامرأة متزوجة، وكارلوس يرفض تحقيق هذه الرغبة، ولهذا تشك هي في أنه يلتقي امرأة أخرى.

وتواصل المؤلفة بثبات في سردها وهي تصف بمباشرة وتفصيل الانعطافات غير المتوقعة فيً العلاقة المتدهورة بين الرجل والمرأة. فنجد كارلوس، الذي لا يزال على اتصال بأصدقائه الثلاثة، يتحول نحوهم طلباً للدعم في التعامل مع المشاكل التي خلقها لنفسه.. وتتحول ماريا نحو السحر الأسود.. وتُصبح التوترات بين الاثنين أكثر فأكثر تعذيباً، والعلاقة بين كارلوس وماريا هنا ليست العلاقة الوحيدة التي تخضع للمتابعة والتفحص، إذ تُبدي المؤلفة تبصراً عميقاً داخل الصداقات ما بين الأصدقاء الرجال الأربعة أيضاً، فكل رجل منهم يختلف عن الآخرين في المزاج والحرفة، لكن ولاءاتهم تبقى ثابتة، وقد تكون النصيحة أو التدخل مفيداً وقد لا يكون كذلك، لكن الأصدقاء لا يتخلون عن الأصدقاء.

«لقد رأى سيارةً شنيعة ـ مثل غراب مشؤوم ـ تجثم أمام بيته. كانت مرسيدس أوسكار السوداء، وكان يجلس في داخلها ثلاثة رجال، وكان أول من ظهر للعيان ماركو.. كان يواجه بلوم، فاتحاً جناحي ذراعيه الرماديين العظيمين، وكان التالي أوسكار، الذي يرتدي ربطةً عنق زرقاء، وكان ويلي الأخير، وقد خرج ببطء، ووجهه العابس يروي حكاية كاملة، أما بلوم، فكان يسابق لاهثاً من أجل هواء، وهو يصيح: ماذا، ماذا؟!»

لقد كانت قصة الحب هذه، العابرة لحدود العرق، والطبقة، والفارق بين الأجيال، ملعونةً من البداية، وهي قصة قديمة، غير أن شخصيات أرانا تدفع بنفسها هنا، بفعل السرد الماهر والمتّسم بنفاذ البصيرة، نحو ذروة حتمية ولا يمكن التنبّؤ بها في وقت واحد.

عن/ واشنطن بوست

هشام توفيق الركابي

أعطى العراق حياته، فماذا أعطاه العراقيون؟

محمد رشيد السعيدي

واسط

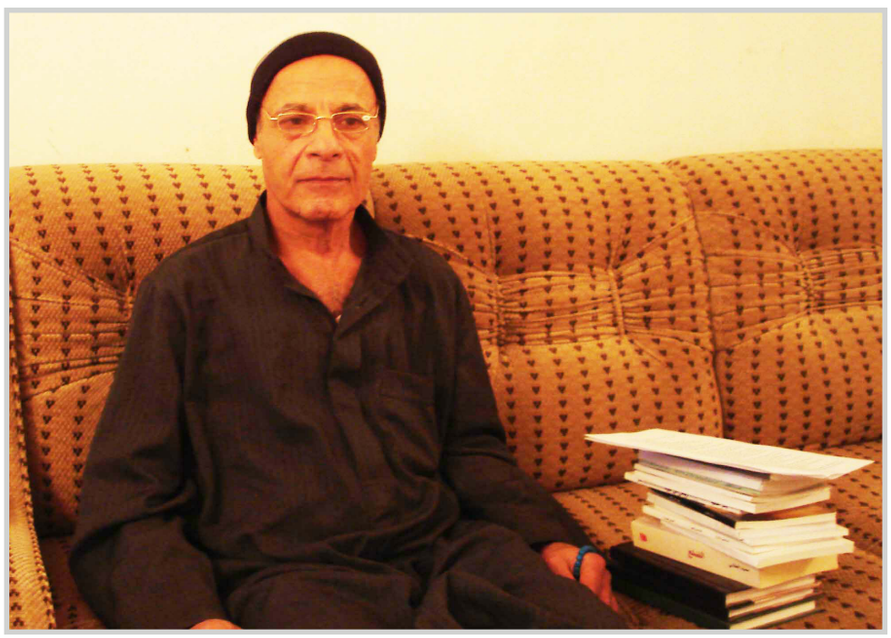

هو كاتب (المبعدون)، الرواية التي صدرت في العام ١٩٧٧ ونفدت في العام نفسه، محققة رقما قياسيا في سرعة التوزيع، وكثرة القراء، ولأنها كما قال الناقد الدكتور علي جواد الطاهر: اقرأ (المبعدون) على مسؤوليتي كناية عن أهميتها، وجدة محتواها، ولأن كل من قرأها قال: إنها من أجمل الروايات العراقية، فإنها كانت ولمّا تزل حاضرة على الرغم من غياب مؤلفها عن الأضواء، وحضوره مع القصة، والرواية قراءة، وإبداعا.. (المبعدون) بلا شك صرخة إنسان كان يعيش على الطرف الشرقي من خاصرة العراق حيث مدينة (بدرة) في نهايات النصف الأول من القرن العشرين منفى لكل الوطنيين الأحرار، وقد حفزه ذلك المكان على ان يعي حقيقة عزل الإنسان عن عالمة الطبيعي فكانت (المبعدون) رواية سياسية بثوب إنساني شفيف.

هشام توفيق الركابي المولود في مدينة (بدرة) العراقية (١٩٤٦) مؤلف (صعود النسغ)، ملحمة السرد، والرواية الأطول في العراق، هو أيضا من كتب (أيوب) تلك التي طبعت طبعة بائسة في أوج سني الحصار قسوة (١٩٩٥)، فلم يحقق الانتشار لها لسوء التوزيع، ولضعف القدرة الشرائية لدى الأدباء، والقراء. هذه الرواية التي حملت من الجمال والرموز ما لم تدع لقارئها إلا أن يعيد قراءتها ثانية، لكي يتمتع، ويستزيد. جديرة بأن تقرأ.. وللقارئ أن يتأول في عنوانها، وما يفيض من رؤى، وأفكار هي في الحقيقة ليست بالبعيدة عن الإنسان، ومشكلاته.

آخر ما صدر للركابي (قلعة الحاج سهراب) المجموعة القصصية الصادرة عن دار الشؤون الثقافية نهاية العام (٢٠٠٧) وقد ضمت خمس قصص تختزن موروث حزن، وظلم، ومعاناة ثلاثين عاما لم تستطع أن تقتل في العراقي حبه للحياة، وإصراره على ديمومتها.. عطاءً وبناءً.

أصدر الكاتب هشام توفيق الركابي ستة كتب، بين رواية، ومجموعة قصصية كلها في قراءة حب العراق، متحدثا الرقيب، والسلطة التي تقف خلفه، فهو لم يجد غير ضميره رقيبا نزيها. ناقدا، ومبرزا لحقائق كانت تسعى تلك السلطات لإخفائها، ولم يقو على مغادرة العراق لنشر إبداعه كما فعل مجايلوه ولهذا ظلت كتاباته بعيدة عن الأدباء العرب، وكان- بمقدوره- لو عُرف عربيا أن يكون فنيا في صدارتهم.

لا أحد ممن يعرف الأدب العراقي يجهله، لكنه غائب عن العيون، غائب عن النقد ربما لأنه مشغول بهموم شعبه، وكتابته، ولم تسع به قدماه إلى أمير، أو وزير، أو سفير، لم يرغب أن يكون من حاشية سلطان، أو متنفذ، أو عازف في جوقة مهرج. رأى في نفسه عزة محب لبلده، فصاغها قصصا وروايات.. توقع انها ستكون كافية لتحقيق طموحاته.. لكنه وقع ـ مثل ملايين العراقيين ـ تحت سلطة القهر، وحالة عزوف الناس عن القراءة بسبب الحصار وما تبعه من ترد في الفكر، والثقافة.

نعم لمً يفكر في مغادرة العراق. وأصر على خوض تجربة الحرمان، وتقبل طرق الظلم على سندان الصبر، لان روحه لا يمكن لها أن تحيا بعيدة عن العراق، وهي التي جرحت لفراق (بدرة) مسقط رأسه. فكيف ستكون لو لبى دعوة أخيه القاطن في استراليا للهجرة إليها؟ لم يحصل على ما يساعده في دفع عجلة الحياة، من مخصصات مُنحت لمئات الأدباء في التسعينيات لأنه لم يكتب ما ينسجم مع فكر السلطان.. وصمد، مدرسا تعفف عن التدريس الخصوصي، لكنه اضطر للعمل سائق سيارة للأجرة ليؤمن لأسرته قوتهم اليومي مع انه فنان وأديب وكتاباته تقول: انه لم يكتب إلا ما ينفع الناس، فيمكث في الأرض.

طحنته هموم الشعب، ومعاناته وهو الرقيق الشفيف الوديع، الذي لم يسمع منه طلابه طيلة ثلاثين عاما ما يجرح مشاعرهم، ولم تقع يده على احدهم إلا مطبطبة مهنئة محفزة لإبداع قصيدة أو قصة أو رواية، ولقراءة غير محددة بكتاب مدرسي.

لم يعد بمستطاع جسده احتمال كل تلك القسوة، فأصيب منذ اثني عشر عاما بالشلل الرعاشي. ازدادت معاناته.. إذ كيف يكتب؟ وهو يختزن عددا غير منته من المشاريع، ثم كيف يقرأ؟، وهو الّذي لم يكن يترك القراءة إلا للكتابة، بل كيف يواجه أصدقاءه وأحبابه؟ وهو الذي كان مجبولا برقة النسيم، وحياء العذارى؟

لقد حاولت معه، وحاول بعض الأصدقاء، غير مرة، حاولنا جميعا أن نستضيفه في اتحاد أدباء واسط، لكنه كان يعتذر برقة.. وعرفت انه لا يحب أن يُشاهد على هذه الحالة.. هشام الآن لا يستطيع جسده القيام بوظائف روحه وعقله، لا تعينه أصابعه في كتابة إرهاصاته، لكنه.. كحاله دوما لا يطلب من احد شيئا، لكن يمكن لنا نحن ـ أبناء شعبه، أبطال رواياته ـ أن نرد له بعض دينه علينا. أليس بمقدور دار (....) أن تعيد نشر رائعته (أيوب)؟ أليس بمقدور دار (....) أن تمتع قراءها بإعادة نشر (المبعدون)؟ أليس بامكان مؤسسات وأفراد عراقيين آخرين مساعدته في نشر أعماله الأخرى في دور نشر عربية؟.. أليس بمستطاع اتحاد الأدباء إقامة حلقة دراسية لنتاجه؟ ألا يمكن لإحدى جامعاتنا أن تجعل من أدبه موضوعا لأطروحة أو رسالة؟.

هل يصعب على الحكومة المحلية في واسط، ومجلس محافظتها أن تمنحه منزلا، أو قطعة ارض في مسقط رأسه؟.. وأخيرا، أليس بمقدور الحكومة أن تخصص راتبا يكفل له مصاريف علاجه؟ أوان ترسله إلى إحدى الدول المتقدمة في الطب، عساه يجد من يعيد لأنامله سلطتها على القلم.

هشام، أعطى وطنه كل حياته.. فهل سيعطيه الوطنيون ما يديم حياته خدمة لوطنه؟

متابعة

المعرض الشخصي الخامس للفنان التشكيلي أحمد دخيل

رموز موصلية وامرأة بمعنى الوطن

نوزت شمدين

الموصل

ضيفت قاعة فسيفساء في معهد الفنون الجميلة للبنين في الموصل، المعرض الشخصي الخامس للفنان(أحمد دخيل)، وضم المعرض(٢٨) لوحة، اشتركت جميعا في الطابع التراثي والفلكلوري، وكانت المرأة محوراً رئيسيا لمعظم اعمال المعرض، وقال الفنان احمد الدخيل متحدثا للمدى عن معرضه، تنوعت مفاتيح العمل في لوحاتي بين القباب والأقواس والبسط والأبواب القديمة وهي رموز موصلية عراقية خالصة، استمديتها من الواقع وحولتها إلى لوحات تشكيلية، وبذلك حاولت الابتعاد عن المفردة الغربية، التي درج الكثير من الفنانين على تقليدها او إعادة استنساخها، ويضيف الدخيل: المرأة في لوحاتي تعني الوطن(العراق)، فبعد كل هذه الأهوال من حروب ومآس ظلت شامخة وصامدة ومعطاء، وأشار الفنان احمدً الدخيل، الى ان معرضه الأول أقامه في عام ١٩٧٨، وبعد أربعة أعوام ضيف المسرح الوطني في بغداد معرضه الثاني، وكان الثالث في الأردن، والأخيران في الموصل.

والدخيل هو من مواليد الموصل ١٩٥٧، حاصل على شهادة البكالوريوس في الفنون الجميلة، في سجله الفني خمسة معارض شخصية، وفاز بمسابقة البوستر لمؤتمر دول عدم الانحياز الذي كان مقررا عقده في العراق عام ١٩٨٢، ساهم في تصميم طوابع رسمية، وهو يعمل الان مديراً لمعهد الفنون الجميلة في نينوى.

نص

وجع الذاكرة

محمد سعدون السباهي

الساحة الخلفية لحياتي، بالمعنى الادبي، حيث ينتظم شريط ذكريات طفولتي وصباي وسنوات شبابي الاولى مثلما تنتظم حبات المسبحة في خيط رفيع ولكن شديد القوّة، الساحة الباذخة تلك لا تني تنفتح على مصراعيها كلما شممت رائحة تشبه رائحة نبتة الحندقوق التي كانت تزدهر بلونها الاصفر الزاهي عند ظلال سيقان نبات الشعير والذرة في حقل جدي، او سمعت صوت ناصر حكيم اوعفيفه اسكندر في واحدة من اغانيهما التي كانت تأسر قلوب الفلاحين في ذلك الزمان الشاعري الذي لن يعود، او رأيت حوضا كبيرا تملؤه الاسماك !

بالنسبة للحالة الأخيرة، ما زلت اتذكر، على نحو عجيب غريب لا لبس فيه ذلك الصباح المضيء، من صباحات أيلول الساخنة، اواسط خمسينيات القرن المنصرم .

كنا عائدين الى مسكننا، الاصح كوخنا المعمول من القصب والبردي، في قرية(آل بوشامه) عند بطائح هور الحمار الساحر، تقلنا وأمتعتنا القليلة الفقيرة، وكمية من حبوب الحنطة والشعير، سفينة شراعية صغيرة استأجرها والدي، فقد انتهى موسم الحصاد السنوي الذي دام اكثر من شهرين، في منطقة(البو صالح) ناحية الاصلاح حاليا والتي كانت تحت حكم الشيخ محيسن آل بدر الرميّض، حيث كانت تؤمها عشرات الاسر الفقيرة من القرى القريبة، للمشاركة بحملات الحصاد في الحقول الشاسعة.

بعد ان خرجت السفينة سالمة بحمولتها، من مصب مائي خطير، عبر مجهود شرس شارك فيه عدد من الفلاحين والنسوة المشجعات المزغردات، مجهود تجلى فيه صراع الانسان ضد عوامل الطبيعة القاهرة ركن الملاح سفينته الى الجرف، وجلس عند فيء مزار «سيد محمد» ممتقع الوجه، يلف سيجارته باصابع مرتعشة، كيف لا وقد كان من الممكن ان يجرف، في رمشة عين، ذلك التيار الهادر المخيف السفينة وحمولتها وتعب حصاد عشرة أسابيع!!

فجأة، وفيما كانت أمي منهمكة بإعداد فطيرة من الشعير للإفطار، سمعنا الملاح يصرخ وقد تلبسه انفعالٌ عارم، حتى انه كان يتأتئ اكثر مما يتكلم، وحين هرعنا نتبين الامر، اتضح لنا انه عثر، مصادفة على كمية كبيرة من اسماك الاهوار الفاخرة، محتجزة داخل منخفض انحسرت عنه المياه على ما يبدو !

فبعد ان اتى على سيجارته انسل ليقضي حاجته خلف واحدة من أكمات البردي التي تكثر في تلك المسطحات المائية المفتوحة على مدايات لا متناهية، تناهت الى مسامعه هسهسة خياشيمها وارتطام زعانفها بالماء النزير، محدثة دمدمة وطننا مسموعين .

تلبسه الخوف أول الامر، اذ خيّل اليه ان مصدر الصوت افعى كبيرة او حيوان الخنزير الذي يكثر في مثل تلك الأماكن، تشجع، اقترب بهدوء وحذر وهو يمسك على خنجره المربوط الى حزامه، أزاح حزمة بردي كانت تشكل ما يشبه الحاجز، فجأة تهللت أساريره، وضرب قلبه بقوّة داخل إضلاعه، وهو يرى أجسادها الرشيقة اللابطة مغطاة بحراشف تلصف على ضوء الشمس مثل رقائق من ذهب وفضة، وهاله كيف تطوّح برؤوسها الملحاء المثلثة، وتفتح على وسعها أفواهها الصفر الجميلة، وقد شح عليها الهواء!

كاد المشهد يفقده صوابه، تحامل وعالج الامر بالصراخ الذي اخرجه من وقاره القروي!

على الفور، ووسط فرحة غامرة شقّت أمي بمهارة الجنوبيات المكافحات الصابرات بمنجلها المعقوف الباشط الذي كان رفيقها في الحصاد، شقّت سمكتين سمينتين، واندفعنا في كرنفال مستحيل نجمع الحطب، الذي في معظمه اغصان اشجار كان قد اتى بها فيضان السنة الماضية.

كان افطارا ما زال مذاقه عالقا في فمي من السمك الطازج اللذيذ، وفطيرة شعير ساخنة!

ولان كمية الاسماك من الكثرة بحيث يتعذر ان تحمله السفينة حتى وان كانت فارغة، لذا اكتفينا بكمية لا باس بها، ولسان حالنا يردد المثل الشعبي الشائع: (يحظى بالصيد، اللي ما عنده ملح!!) والمتبقي منه عملنا له مجرى، ودفعنا به الى الشط العريض !

وفيما كانوا يتهيأون للإقلاع كنتُ، افعل ما يفعله ابن الخامسة، في العادة: احجل على قدم واحدة وأطارد حافيا شقيقتي التي تكبرني بعام، وسط المرج الأخضر!!